العمارة في الفن الإسلامية

إن المتفحص- للفنون الإسلامية والمتمثلة في الزخارف والنقوش- لا يحتاج إلى كثير تأمل ليلحظ تلكم الوحدة العامة التي تطبع هذه الزخارف والنقوش الإبداعية وهي حقاً ما يميز الفنون الإسلامية عن غيرها من الفنون الأخرى ، وهذا الطابع الذي يصبغ هذه الكنوز النفيسة بصبغة واحدة هو ما جعلها على الدوام شاهداً على تفوق الحضارة الإسلامية وقدرتها على التميز.

ومعلوم أن الفن الإسلامي قد نشأ في عصر بني أمية حتى غدا لفظ " الطراز الأموي " قريناً لهذا المعنى ، ومن هنا جاءت تسمية تلك المنتجات الفنية في هذا العصر الزاهي بالطراز الأموي أو المدرسة الأموية دليلاً على الأسبقية التاريخية للأمويين في هذا المجال . هذه الزخارف مردها ومنبعها هو الإسلام والعروبة ولم يتأثر هذا الفن بالتقاليد والعقائد التي تحكم وتطبع غيره من الفنون الأخرى في الحضارات الأخرى ، فلا غرو أن نجد إذاً خلو هذه النقوش والزخارف الإسلامية والأشكال الهندسية عبر القرون من ذوات الأرواح من إنسان أو حيوان أو غيره من الكائنات ، كما أن هذه الزخارف وقفت صامدة عبر الأزمنة المتعاقبة لا تتأثر بما حولها من البلدان المجاورة كالأسلوب الإغريقي مثلاً ، والذي سبق هذا النموذج الإسلامي في الوجود ، وهذا ما جعل الأسلوب الإسلامي يتمتع بالتفرد والسيادة على مر العصور محافظاً على خصوصيته وتميزه ، وعدم ذوبانه في الآخر .

المباني الإسلامية

وعن العمارة الإسلامية وتعدد طرائقها وتنوع نماذجها من مبنى لآخر ، إن كان مسجداً أو حصناً ، يمكن للمتأمل لهذا الفن أن يلحظ الاهتمام الواضح الذي أولاه الأولون للعناية ببيوت الله تعالى ، والتأنق في عمارتها وزخرفتها كونها أفضل البقاع وأشرف الأماكن ، وقد اهتم البناة في تطوير أساليبهم بدءاً من التخطيط الهندسي والتصميم الجميل للمسجد إلى جانب العناصر المعمارية والزخرفية التي تكتنف المبنى وأجزاءه المختلفة من مداخل وقباب ومآذن وأعمدة ونوافذ ، ويقف المشاهد مشدوهاً أمام روعة هذه الزخارف وقوة الخطوط التي يستخدمها الرسام المسلم ، ولعل أروع الأمثلة للعناية ببيوت الله تعالى تتجسد في بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، ومسجد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، ومسرى سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث الأقصى المبارك ، والمسجد الأموي بالشام والجامع الكبير ببغداد وجامع الزيتونة بتونس.

مميزات الزخرفة الإسلامية وخصائصها:

جملة من المميزات والخصائص التي تميز الزخرفة الإسلامية نذكر منها المميزات التالية:

1- العناية بالتجديد والابتكار والاعتماد على التطوير المباشر دون النقل.

2- البعد عن التقليد والتصنع في العديد من الأعمال الزخرفية المختلفة في العمارة والمجالات الأخرى.

3- الأصالة في أغلبية الأعمال وهي تعتبر من الأعمال الفطرية لدى الرسام والفنان المسلم.

4- المبالغة في استعمال الألوان الفطرية دون الدمج بينهما إلا في بعض الحالات القليلة.

5- التأثر الواضح بالعقيدة الإسلامية السمحة حيث نلاحظ ولله الحمد عدم وجود الرسوم الزخرفية التي تشمل ذوات الأرواح وعموم الكائنات الحية وخاصة في الرسوم التي بداخل المساجد.

6- البعد عن التجسيم حيث لا تستهدف الزخرفة الإسلامية البعد الثالث كما هو الحال في بعض الزخارف في الفنون الأخرى ، ولكنها تركز على بعد آخر وهو البعد أو العمق الوجداني والذي نشاهده بصفة دائمة تقريباً في زخرفة الأبواب الإسلامية المنتشرة في الكثير من المساجد والقصور القديمة وأيضاً الحديثة.

ثم العناصر الزخرفية لعموم الزخرفة الإسلامية والمتمثلة في:

1-الزخرفة النباتية.

2-الزخرفة الهندسية.

3-الزخرفة الخطية.

.

نماذج طرز الزخرفة الإسلامية:

تتعدد الطرز والطرائق والأنماط التي تميز كل عصر وزمان عن غيره من الأزمنة وتبعاً لتعدد هذه الطرق كان هذا التنوع في الزخارف الإسلامية:

1-الطراز الأموي : ويقف الجامع الأموي نموذجاً من نماذج العمارة الإسلامية الفريدة في هذا العصر.

-2الطراز العباسي : حيث تعتبر مدينة سامراء النموذج الواضح لأسلوب الطراز العباسي والتي بناها المعتصم 836م
-3الطراز المغربي : ولعل أوضح مثال له هو قصر الحمراء بغرناطة بالأندلس.
-4الطراز المصري السوري : حيث بلغ فن الحفر والنقش والزخرفة في الأواني والتحف والأشغال الخشبية ذروته في هذين القطرين.
-5الطراز الأيوبي : وهو نسبة إلى عصر الأيوبيين الذين حكموا مصر وسوريا ، وانتشر فيه نماذج متعددة من الزخارف.
-6الطراز المملوكي وهو كذلك في سوريا ومصر حيث انتشرت الكثير من القصور والمساجد والمدارس التي اشتهرت بالأشكال النجمية التي تتبع للزخارف الهندسية.

نماذج لتخطيط المدن:

-1مدينة الفسطاط
-2مدينة سامراء
-3مدينة بغداد
-4مدينة فاس
-5مدينة الكوفة

معالم زخرفية تاريخية:

معالم خالدة في الزخرفة الإسلامية لا تزال تقف شاهدة على العصر بروعتها وجمالها ومن هذه المعالم:

-1قصر اشبيلية
-2مئذنة الحلوية (تلمسان)
-3مئذنة المنصورة
-4باب المنصور(مكناس)
-5قصر الحير الشرقي والغربي (سوريا)
-6جامع الزيتونة (تونس)
-7مدرسة القرويين (الرباط)
-8قرطبة / المحراب الجامع الكبير
-9الحدباء / المئذنة
-10 جامع المتوكل